

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠١ - سُورَةُ الْفَارَعَةِ

مكية وآياتها إحدى عشرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (الْقَارِعَةُ)

[٢] (مَا أَلْقَرَعُ)

[٣] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)

[٤] (يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ)

[٥] (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)

« الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ » قال أبو السعود: القرع هو الضرب بشدة واعتماد ، بحيث يحصل منه صوت شديد ، وهى القيامة . سميت بها لأنها تفرع القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأهوال . وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال: السماء بالانشقاق والانتطار ، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار ، والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف . وهى مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن (ما) الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ ، لا بالعكس . لأن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ . ولا ريب فى أن مدار إفادة الموصول والفخامة ههنا ، هو كلمة (ما) لا (القارعة) أى أى شىء عجيب هى فى الفخامة والفظاعة ؟ وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتحويل . وقوله تعالى « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ » تأكيداً لهولها وفظاعتها ، ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها ، بحيث لا تسكاد تفاله دراية أحد ، حتى يدريك بها . أى : أى شىء أعلمك ما شأن القارعة ؟ ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها ، أنجز ذلك بقوله تعالى « يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ » أى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبعوث فى الكثرة

والانتشار ، والضعف والذلة والاضطراب ، والقطاير إلى الداعي ، كقطاير الفراش إلى النار .
 فـ (يوم) خبر محذوف بنى على الفتح ، لإضافته إلى الفعل ، أو هو منصوب . بإضمار
 (اذكر) . كأنه قيل ، بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها :
 اذكر يوم يكون الناس « وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ » أى كالصوف المندوف
 في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو . ولما كان من المعلوم أن ذلك اليوم هو اليوم الذى
 تبتدى فيه الحياة الآخرة ، وفيها تعرف مقادير الأعمال وما تستحقه من الجزاء ، رتب عليه
 قوله تعالى :

القول في تأويل قوله تعالى :

[٦] (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)

[٧] (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)

[٨] (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)

[٩] (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)

[١٠] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ)

[١١] (نَارٌ حَامِيَةٌ)

« فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » قال ابن^(١) جرير : أى فأما من
 ثقلت موازين حسناته ، يعنى بالموازين الوزن . والعرب تقول (لك عندى درهم بميزان
 درهمك) ويقولون (دارى بميزان دارك ووزن دارك) يراد حذاء دارك . قال الشاعر^(٢) :
 قد كنتُ قبلُ لفائِكم ذا مِرَّةٍ عندى لكلِّ نخاصم ميزانهُ

(١) انظر الصفحة رقم ٢٨٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) أنشده نعلب في اللسان (ج ١٣ ص ٤٤٧) طبعة بيروت .

يعنى بقوله (ميزانه) كلامه وما ينقض عليه حجته . وكان مجاهد يقول : ليس ميزان . إنما هو مثل ضرب . انتهى .

وعليه ، فالموازين جمع ميزان . وجوز كونه جمع موزون ، وهو العمل الذى له خطر ووزن عند الله تعالى . ومعنى قوله (فِي عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ) أى فى عيشة قد رضىها فى الجنة . فـ (راضية) بمعنى مرضية ، على التجوز فى الكلمة نفسها أو فى إسنادها . أو استعارة مكنية وتخييلية « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ » أى وزن حسناته « فَأَمُّهُ وَهَّاءٌ » أى فآواه ومسكنه الهاء التى يهوى فيها على رأسه فى جهنم .

قال الشهاب : فسمى المأوى (أمّا) على التشبيه تهكماً . لأن أم الولد مأواه ومقره . وفى (التأويلات) : قيل المراد أم رأسه . أى يلتقى فى النار منكوساً على رأسه . انتهى . والأول هو الموافق لقوله « وَمَا أَذْرَبْتَ مَايِهِ * نَارٌ حَامِيَةٌ » فإنه تقرير لها بعد إيهامها ، والإشعار بخروجها عن الحدود المعبودة للتهويل . وأصل (مايهيه) ماهى ، كناية عن الهاوية . فأدخل فى آخرها هاء السكت وفقاً . وتحذف وصلاً . وقد أجاز إثباتها مع الوصل .